نقرأ على غلافه الاخير ما يلي : « ارادت المقاومة ان تكون في واقعها وممارستها نفيا للواقع العربي والممارسة العربية . فكانت ايديولوجيا المقاومة تثبيتا لهذا الواقع وهذه الممارسة . وصارت ايديولوجيا المقاومة هي واقع المقاومة وممارستها » . « حرب التحرير الشعبية ومطاردة « الحل التصفوي » الفاظ بلا مضامين ،ومضامين بلا حدود ، ادراك اجمالي غامض ، وانفصال الاقوال والاعمال — الياس مرقص يفك هذه الآلية ويبين الطريق » . هذا الكتاب يقرأ من الغلاف الاخير ، فهو يكشف ان الاستاذ مرقص يريد ان يلعب دور المرشد — بدون مزدوجين على طريقته — في هذه المرحلة . اما منهجه الخاص به — فهو ليس لينينا وان رغب في ذلك — ، لان قوامه الانطلاق من افكار مسبقة بقصد التبشيرية السياسية الفجة ، بأسلوب التهشيم — دون الالتزام بموقع وممارسة نضالية محددة ، كما كان يفعل لينين الذي يتسلح به مرقص لضرب « اليسار الزائف » والمقاومة جمعاء . وهو يحكم مسبقا باعدام المقاومة — لماذا ؟ لان المقاومة = الايديولوجيا . لكن من قال له ذلك ؟ انه « يأمر بقطع رأس المقاومة » لان كتابات مثقفين ومفكرين من خارج المقاومة عموما ، لم تعجبه ولم تدخل في خرم الابرة اللينينية التي يتسلح بها . ولانه يعتمد على اخبار صحفية واستخبارية ، ولا يهتم بدرس المقاومة كاتجاه ثوري ، وكواقع نضالي له قضيته الواضحة .

الكتاب حملة ضد محمد كشلي و ن.خ. ونايف حواتمه وصادق جلال العظم الخ . ويتميز الكتاب بأسلوب التنبؤ والمراهنات . فعلى صعيد التنبؤ يقول « من الجهة الاولى — الهدف العربي — اقول : ايا كانت التطورات المقبلة ، وحتى فيما لو اختفت المقاومة الفلسطينية او فيما لو حررنا فلسطين وانتهت القضية موضوع الركب ، فان هذا اليسار العربي الزائف سيجد ذريعة اخرى وشكلا اخر » . ويجنح الى القول بأن « ... هذه المنظمة [الديموقراطية] هي التي تقود المقاومة الفلسطينية » . ويقدم فكره ، هو ، بأنه المرشد: « هذا اليسار الزائف لا علاقة له بالماركسية ، بينما الايديولوجيا المقاومة ليست غريبة عنه » . ويتهم المقاومة بالتوحد ضد عبد الناصر ، والحقيقة انها توحدت في نضالها ضد الحل السلمي . وعبد الناصر نفسه ، قال ان موقفه لا يلزم المقاومة ، فلماذا يريد الاستاذ مرقص الزامها بما لم يلزمها به عبد الناصر نفسه ؟ ولماذا يطرح نفسه وصيا او وكيلا عليها ؟ الا ينبغي التعامل معها — فكرا على الاقل — كحركة مستقلة ؟

وينتقل الاستاذ مرقص الى التشكيك بعمليات المقاومة ، وتزوير مفاهيم الحرب الشعبية ، والوقوف ضدها . والحرب الشعبية تعني — خلافا لما يفهمه الاستاذ مرقص — حرب الجميع وفي مقدمتهم القوى الوطنية الاكثر طليعية وثورية . والحرب النظامية ضد الامبريالية واسرائيل هي من صميم حرب الشعب ، وهنا لا يكون تعارض بينها وبين المقاومة ، وانما التعارض كامن بين اطلاق النار ووقفه ، بين الصراع وتجميده . وكثيرا ما يستند الى امثلة افتراضية او تصورية ويقول انه قرأها في مجلات عربية . ولكن ما هي هذه المجلات ؟ ومن كتب فيها ؟ وما صلة المقاومة بذلك؟ لا جواب . ويعتبر ان كل سلاح المقاومة شعارات بشعارات — لا شيء — : « حين نسمي الثورة الفلسطينية شعارا والمقاومة شعارا والكفاح المسلح شعارا ورفض التصفية شعارا الخ فاننا نغرق في الشعارات » . ويتناول موضوعة حرب التحرير الشعبية فيعتبرها اسطورة طرحت بدلا من الواقع . ويعلن — فضلا عن تحفظه ازاء الثورة الفلسطينية — وقوفه ضد حرب التحرير الشعبية. لسبب هو انه يكره بعض المثقفين الذين يعرفهم او يجهلهم . ويحمل كرهه وسخطه للمقاومة نفسه . ويزور المفاهيم : فمن قال له : ان « قتال الجيش المصري او الجيش السوري ليس كفاحا مسلحا » ؟ وحصر هذه الصفة بالعمل الفدائي وحده ؟ وينتهي الى القول : « اننا نقترح على المقاومة الفلسطينية ان تقيم لنظرية حرب التحرير الشعبية الاحتفال المهيب الذي يليق بها : الدفن » (ص ٥٧) . اما الحل السلمي فهو امر غير محتمل بنظر مرقص (١٪ فقط) ، وحق اللاجئين في العودة شبه مستحيل (واحد بالالف) . لماذا ؟ لان « مصر الثورة بلغت سن الرشد » .

وينتهي الكتاب وكأن كل المشكلة هي : سوء كلام